الحيوانات اللبونة

واقدم آثارها

بسطنا في مقتطف فبراير سنة ١٩٢٤ كيف عثرت بعثة علمية اميركية برآسة الدكتور اندروز في صحراء غوبي بمنغوليا على مجموعة نادرة من بيوض الديناصورس المتحجرة وغير ذلك من الآثار والجماجم والعظام المتحجرة التي يرتد تاريخها الى نحو عشرة ملايين سنة . وقد اعادت هذه البعثة الكرة في سنة ١٩٢٥ على المكان الذي وجدت فيه ما تقدم لاتمام البحث عن تلك المتحجرات النفيسة عساها ترشد العلماء الى الموطن الاول الذي نشأ فيه الانسان . فعثرت على عدد كبير من بيوض الديناصورس وجلها يفوق ما عُثر عليه اولاً من حيث سلامته وعدم تكسره او تفتته وكثرة انواعه ووجدت عدا البيض كثيراً من العظام المتحجرة وجميع هذه الآثار متى رتبت ترتيباً علمياً حسب سن اصحابها تألف منها سلسلة متصلة الحلقات تمثل حياة الديناصورس في جميع ادوارها من مهدها الى لحدها

وكانت البعثة قد عثرت في رحلتها الاولى الى صحراء منغوليا على جمجمة متحجرة حسبها الدكتور غرانجر الذي كشفها انها من آثار الزحافات غير المعروفة فلما رآها الدكتور متيوز امين المتحجرات في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك ادرك للحال انها ليست من آثار الزحافات بل من اثار الحيوانات اللبونة بل قد تكون من آثار اقدم الحيوانات اللبونة على الاطلاق . فكتب الى الدكتور غرانجر يطلب اليه ان يبذل ما في وسعه لكشف كل ما يستطيع كشفهُ من هذا القبيل . وذلك لانهُ من المعروف لدى علماء الشرء والمتحجرات ان الحيوانات اللبونة التي دمها حارٌّ وترضع اطفالها نشأت من الزحافات البيوضة الباردة الدم . وكان العلماء حتى سنة ١٩٢٣ لم يرتقوا الى العثور الأكيد على جمجمة واحدة من جماجم الحيوانات اللبونة التي يرجع عهدها الى ذلك العصر المتوغل في القدم، عُثر عليها في جنوب افريقية في طبقة من طبقات الترياسيك التي كانت منذ نحو ١٦ مليون سنة وهذه الجمجمة موجودة الآن في المتحف البريطاني وتحسب من الكنوز الاثرية التي لا تقوَّم بمال . على ان صاحبها كان من الحيوانات اللبونة التي انقرضت في مطلع عصر

الايوسين وليس من علاقة صريحة له بالحيوانات اللبونة المعروفة و بعض العلماء يظن انها جمجمة احد الزحافات القديمة

لذلك اهتمت بعثة الدكتور اندروز في رحلتها الاخيرة بالتنقيب عن آثار الحيوانات اللبونة في المكان الذي وجد فيه الدكتور غرانجر الجمجمة الاول وهو المكان الذي عثرت فيه البعثة على آثار الديناصورس من بيض وجماجم وعظام . وكان الحظ يسير في ركاب الدكتور غرانجر فما حطت البعثة رحالها على مقربة من هذا المكان حتى مشى اليه وعاد بعد ساعة يحمل في يده جمجمة صغيرة لحيوان لبون متوغل في القدم وهي الجمجمة الثالثة من نوعها في تاريخ البحث عن المتحجرات

وكانت البعثة قد عزمت على السفر الى مكان آخر في اليوم التالي فلما عادت الى هذا المكان استأنف غرانجر ورفاقه البحث عن جماجم الحيوانات اللبونة وعظامها فقضوا اسبوعاً كاملاً جمعوا فيه ست جماجم كلها صغيرة لا يزيد طول الواحدة منها على بوصة ونصف بوصة لانها كانت جماجم حيوانات صغيرة الحجم جداً

قال الدكتور اندروز رئيس البعثة « وقد كنت احرص على هذه الجماجم كما احرص على ولد لي فكنت اراقبها في اثناء السفر من منغوليا الى نيويورك لا اغفل عنها طرفة عين . ولما سلمتها الى مدير متحف نيويورك شعرت ان عبئاً ثقيلاً زال عني »

هذه الجماجم صغيرة كما تقدم يستدل منها على ان اصحابها لم يكونوا اكبر من الجرذان حجماً وعهدها يرجع الى عشرة ملايين سنة ويجب ان ينظر اليها كاول محاولة حاولتها الطبيعة في توليد حيوانات لبونة تأكل الحشرات او اللحوم او الاعشاب . وقد قال الاستاذ اسبون رئيس متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك في الكلام عليها ما يأتي « لا شك في ان انقراض الزحافات البحرية والبرية الكبيرة التي بقيت الى نهاية العصر الكريتاسي مهد السبيل لنشوء الحيوانات اللبونة فاخذت تتولد انواع جديدة منها وما زالت ترتقي حتى تسلطت على البر والبحر » وقد كاد علماء الحياة يجمعون على ان الحيوانات اللبونة نشأت من الزحافات كما نشأت الزحافات من الحيوانات الامفيبية[1] وهذا لا يعني ان انواع الزحافات المعاصرة هي من اسلاف الحيوانات اللبونة انما يعني ان الحيوانات اللبونة وانواع الزحافات المعاصرة نشأت من انواع الزحافات المنقرضة المتوغلة في القدم

(١) معنى الامفيبيا المزدوجة الحياة كالضفدع لانها تعيش جانباً من عمرها في الماء وجانبا في اليابسة